

البرهان في أصول الفقه

باب في ترجيح الأقيسة .

1252 - هذا الباب هو الغرض الأعظم من الكتاب وفيه تنافس القياسون وفيه اتساع الاجتهاد وهو يستدعي تجديد العهد بمراتب الأقيسة فنقول المرتبة العليا المعدودة من مسالك القياس ما يقال إنه في معنى الأصل وقد سبق تأصيله وتفصيله وتقدم القول في أنه هل يعد من الأقيسة أو يعد من مقتضيات الألفاظ وهو على كل حال مقدم على ما بعده والسبب فيه أنه ملتحق بأصله قطعاً والتحاقه به مقطوع غير مظنون ولا شك في تقديم مراتب العلوم على درجات الظنون ثم يلي ذلك من قياس المعنى ما يطرد وينعكس ويليه القياس الذي يسمى قياس الدلالة كما سبق وصفه ويليه ذلك قياس الشبه فأما ما يعلم فلا ترتيب فيه (مراتب قياس المعنى) .

1253 - وأما قياس المعنى فهو على مراتب لا يضبطها ضابط فإن مسالك الظنون لا يتأتى حصرها وهي وإن كانت منحصرة من جهة تعيين مناسبتها لأصولها الشريعة فلا يتأتى للناظر الوصول إلى ضبطها بعد وربطها بحد ولكننا نحصر على تقريب الأمور والإشراف على ما يكاد أن يكون تشوفاً إلى الضبط ونتقي فيما نحاوله مصالح لا نرى تقديرها مأخذ الأحكام ونحاذر فيها الوقوع في منخرق مذهب مالك وامتسع مسلكه المفضى إلى الخروج عن الحصر والضبط ثم قد ذكرنا في الاستدلال طرفاً من ذلك ونحن نعيده ونزيده تقريراً وتقريباً